

إسهامات الفقه الاسلامي في تطوير قواعد القانون الدولي الانساني

محمد حمام
أستاذ محاضراً
جامعة زيان عاشور بالجلفة

المخلص: تتناول المداخلة التعريف بإسهامات فقيه تناساه البحث العلمي وهو العلامة (الشيخ مسعودي اعطية من مصطفى الحسيني) وهو الذي اثرى المنظومة الفقهية بأرائه الفقهية التي أغنى بها الميدان الفقهي في الثمانينات من خلال مزاولته لمهنة الإمامة، ولما تركه من أحكام فقهية أفاد بها خلق كبير وجعل من العلماء الارض سقرون له بالعبقرية الفريدة من نوعها في مجال الفتوى والتصوف.

Abstract

Nous tennons a intrvenir sur un aspet tres important relative a des tentatives religieuse emanant d une plate forme etonante dans l esprit humaines absorbee par les principes fondamentaux de leslam a lepoque de deux decenee passee. invantes par un chikh celbre) si attia masoudi ben mustapha el houssinie)

الكلمات المفتاحية : الحكم الصوفية، الفقه..القواعد الشرعية، الفقه الدولي..

مقدمة:

إن صناعة الحضارة وهندسة السلام مع الآخر، أعطي لنخبة قيظهم الله تعالى بجملة من المعارف «المادية والمعنوية» وحتى الصوفية»، ولا ربما نتعجب

عندما يكون هناك «رجل» من بين الألاف من الفقهاء الذين جرت عليهم التسمية (تحت درجة فقيه) ، فإن الكثير منهم وكثير جدا» من يعيشون في مجتمعات لا تعترف بهم وتحط من شأنهم» إلا لانهم «يلتمون إليهم» ويستخفون بهم .

وقد حصل هذا الأمر مع الكثير منهم في العهود الغابرة، لقي أعرابي سيدنا «ابن العباس» وهو فتى فقال له رافقي الى الشيخ لعلنا ننتفع منه، فعابره قائلاً أوتضن انه يحتاجك لناس، «فطلق زمنا» وأصبحت جموع الدنيا تكتظ على مجالس ابن العباس ومردلك الإعرابي على مجلسه ، فقال له إني أخطأت ، ولأزال كذلك في بلادنا بالجزائر، «علماء» رحلوا في صمت وإن نذكرهم فلربما ننسى غيرهم وهم كثرو على سبيل الحصر ناتي ببعض الاسماء التي تدخل في هذا الموضوع منهم ..الشيخ بن حلوش، ابوبكر مصطفى بن حمون، الشيخ محمد المنصور الغسيري، الشيخ محمد العيد حم علي، الشيخ محمد العابد الجيلا لي الشيخ السعيد الزموشي، الشيخ عبدالعالي الاخضري، الشيخ المولود الحافظي، والشيخ محمد بن عبدالكريم الديسي، والشيخ سي عبدالقادر طاهري، والشيخ سي عبدالقادر الشطي.

إن عملية المسح التي مكنتنا، اثناء التعرض الى تفاصيل حياتهم، لم نجد فيها البحث عن شهرة او الحصول على المال ، وانما كانوا يهدفون في تسابق الى إفهام الناس (الاخر) بدينهم وتفصيل حياتهم بما يرضي الله ، دون مقابل ، يدفعهم بذلك وازع العلم (والطمع في وراثة الانبياء) طبقا لقوله تعالى .

من جهة صنع الحضارة،(فان إشكاليتهما) تتعلق بالمشاركة في اعطاء الناس تفاصيل لتنظيم حياتهم ، فهم لم يتطلعوا للسيطرة على العالم بل كانوا يريدون وجهة العالم الاسلامي(رغم ان هذا المصطلح ظهر حديثا في القرن التاسع عشر كبديل لسياق ثاني عرف في مابعد ...

ليأخذ به الفقه الدولي بنصوص تنظيمية قائمة قائمة على اساس (التكتل الدولي)، ان الشيوخ العلماء سعوا الى تعليم وافهام الأخر الجاهل بفكرة الوجهة الاسلامية الحقيقية التي أصبحت «تعتم» و«تصرف الاموال الباهضة «لتركها مقتمة..بل وصار تجزيؤها من بين دلالات «الترقى في الوظائف» والتقرب الى القرار الدولي، وربما يستوقف القاري هذا الاشكال الجانبي فاننا نقول ان وجهة العالم الاسلامي مقسمة على مايلي :

- دولة الخلافة من الشرق الى الغرب ، وهو مفهوم لم يتناساه العلماء والفقهاء والشيوخ لانه متجذري في الفكرية الاسلامية منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام الى عهد الخلافة العثمانية ..

- دولة الهوية والاتحاد والتاريخ المشترك والرسول الواحد (اخر الانبياء أعتقادا جازما)

- دولة محاظة بالمحاولات التغريبية، لقمع الثقافة الغربية عن المعتقد الاسلامي .

ودليل العمل ومنهاج التغيير.(هو العودة الى أدوات الماضي (مخطوطات العلماء+افكارهم،لتعين وجهتنا الى المستقبل).
الجسم:

إن الشيخ المفتي (القطب الرباني العارف بالله) إنما يتطلع في «علنه وسره» الى نشر العقيدة ليس بمعنى النشر على طريق الفتح وإنما تبين عناصر العقيدة ، بما يلائم الزمن الذي يعيش فيه المسلم وهو بخلاف عما «يحيكه اعدائهم» بانهم جاؤوا بصيغة الفتح الاسلامي،وهو مآدى الى ظهور صدمة الغرب (الذي لم يفهم على الاطلاق)أن الله مكن لدينه، وهو القائل (انا انزلنا الذكر وانا له لحافظون)..وماتبقى الان هو كيف يصل تعاليم الدين المعلومة الى انجاد الناس الذين تسبقهم الحضارة (التحضر والعصرنة) بالمنظور الغربي (والتعايش بما يرضي الله لاهل العصر الحديث)

فالوجهة المقصودة هي وجهتنا الى الماضي ليكون مستقبلا مشرقا، وهي وجهتنا الى المستقبل ليكون مجدا مستعدا،

يمثل التراث العربي الإسلامي مرجعية تطرح القضايا المصيرية للإنسان والمجتمع العربيين المعاصرين بمعزل عنه.. ولها وقعها وصددها وجذورها في الأصول الإسلامية التي أنشأتها الحضارة الإسلامية زمن ازدهارها وحتى زمن انحدارها. ولهذا كان من الضروري ان يتأسس الفكر المرجعي (الفقه) على جذور القرآن والسنة والمدونة الفقهية والأصولية والكلامية أو علم التفسير.

سوف نذكر في هذا الاطار المرجعي لمساهمة حثيثة لاحد شيوخ الفكر الاسلامي المعاصر ورائد من رواد الاصلاح في الجزائر وهو «

العلامة الفهامة الشيخ سي عطية مسعودي بن مصطفى الحسيني»

حاولنا اقحام مرجعيته الفكرية ضمن محور صناعة الحضارة وهندسة السلام مع الاخر انطلاقا من مفاهيم الحضارة الحديثة

ماهي المبررات التي تقتضيها المنهجية العلمية في الاختيار لموضوع (الدراسة)، لاشك ان الشيخ سي اعطية شيخ بالفطرة لكونه شرب من منابع دينية صوفية كانت معروفة بمنطقة الجلفة وحتى بالجزائر العاصمة والعالم العربي وهي كلها عوامل ساعدت على ظهور هذا «المرجع الفقهي» الذي كرس حياته من أجل ترسيخ هندسة السلم مع الآخر. ولكي يفهم المجدون حقيقة هذا الاختيار نذكر المعطيات القيميية التي ساهمت في بلورة مرجعية الشيخ سي اعطية مسعودي .

نذكر منها:

- الكتابات الصوفية

شهدت محيط الشيخ ظهور (ثقافة الولاء) لرجال الدين والعلماء بتوفير العناية للمرابطين والتكفل بهم «ماديا ومعنويا»، أنتج الجزائريون في (إيالة) الجزائر المستقلة «مخطوطات دينية راقية» خاصة من الجزائريين الذين هاجروا إلى المشرق العربي، «كان قبلة لكل العرب والمسلمين» إذ شاع أسلوب الكتابة بكثرة في وصف «مكة والمدينة» وسفريات العلم. وبتحكيم النظرة النقدية حول تلك «الكتابات» وجدنا أنها كانت تفتقد الى وحدة الأسلوب ووحدة التوجية، وعلى العموم فإن «المادة الإعلامية الدينية» كانت حاضرة بشدة لكنها لم تجد سبيلها «للنشر» بسبب الإضطهاد الإستعماري منها على سبيل المثال: «مناظرات دارت بين الشيخين محمد الحنفي وأحمد قدورة المالكي» (إقامه الزوجين عند أهلها). وكثرة العلماء الناقلون، إنتقادات يحي الشاوي لأهل عصره، فتاوى الشيخ علي المرواني الشاذة بالإضافة إلى ظهور فكر الخواج على لسان محمد البوزيدي وهو من تلاميذ محمد التواتي، وذيوع ثقافة الولاء والشذوذ، بالإضافة ظهور كتاب «السعي المحمود في نظام الجنود لإبن العنابي» وسواد رياضة الألباز وحل المسائل الفقهية والبوقالات وظهور ثقافة القهوة والدخان وموقف الشرع منها، حللت على أنها تساعد على الشفاء من آلام الشقيقة وتساعد على طول قراءة القرآن وقيام الليل وحرما شرايها إن هذه الظروف جعلت المشايخ وأصحاب الأحوال يلجؤون الى الصحاري لكتابة علومهم بعيدا عن الكشف والترص وذهب الكثير منهم مما قيل لنا في الصحراء إلى دفن مخطوطاتهم في أعماق الرمال.....

- الصحافة المكتوبة والكتابات الدينية: كان المجتمع العربي على عهد قريب من «إختراع الطباعة» حيث شجع ذلك على إنتشار الصحف شهدت الجرائر على سبيل المثال تطورا مهما للغاية فمن (ثلاثون) جريدة عام 1871 وصل عددها الى (إثنين وتسعين) جريدة عام 1890 ثم (134) عام 1896 م والاسباب تعود إلى العوامل التالية :

- تحصل الأوروبيون على حقوق وحرية عامة موسعة بعد إعلان الجمهورية الثالثة وإشتداد المنافسة بين المعمرين والأوروبيين النازحين، وبعد سبعة عشر سنة حاول الجزائريون تأسيس جريدة المبرسنة 1848 م اعتبر هذا التاريخ أول «تأريخ» عرف من خلاله الجزائريون الصحافة في تلك الفترة كتب الكثير منهم في الصحف لكنهم لم يضعوا أسماءهم كاملة، ولم يظهر إسم واحد الى غاية سنة 1852 في إحتفالات العرش في فرنسا (بمناسبة تنصيب نابليون الثالث إمبراطورا على فرنسا)، دعي كامل أعيان البلاد للمشاركة منهم « سليمان بن الصيام الملياني » الذي ذهب إلى باريس وتحت إلهام من أصدقائه طلبوا منه وصف رحلته فكان أول إستطلاع وصف رحلته إلى فرنسا، إستعمل فيه فنيات التحرير الصحفي، والصحفي الثاني هو محمد السعيد علي الشريف البجاوي بلغت مقالاته سبعة عشر، كان من بين أعضاء الوفد الذي شارك في احتفالات نابليون 1852، إتصفت

مقالته بإستعمال الأسلوب الأدبي وظلت صحيفة المبشرتقتبس من مقالاته تحت عنوان «من كلام الأديب محمد السعيد بن الشريف» والصحفي الثالث كان هو أحمد البدوي كاتب سراً الأمير، قاوم الفرنسيون مع الطيب بن سالم. وكان سكرتير تحرير جريدة المبشر العربية التي أصدرها الفرنسيون وبعد ست سنوات من دخول الفرنسيين إلى الجزائر اتصل بالأمير مباشرة بعد نقض إتفاقية التافنه إلتحق بالمقاومين في منطقة القليعة بخليفة الأمير الشاب محمد بن علال، وأظهر تفوقاً عينه سكرتيراً بجانبه، ولما كان نشاطه ديناميكياً طلبه الخليفة سي الطيب خليفة منطقة القبائل لكي يقيم معه في جرجرة ولما إعتزل سي الطيب بن سالم المقاومة رجع الشاب أحمد البدوي إلى أهله في القليعة حينها سمع به الجنرال «دومالي» إستدعاه وبعد المقابلة أخذه إلى مكتب بيجو حيث أعجب به ووظفه إلى جانب سكرتيره الخاص ليون روش، كان العدو الفرنسي يقحمه أثناء غزواتهم كحملات فليته إيزلي، وبابور مع راندون عام 1853، ونظراً لمقدرته في الصحافة نقل إلى ديوان الصحافة بدلاً من الترجمة وكان ذلك بعد ما أسست المبشر لإدخال حضارة الأوروبيين إلى عقول الأهالي، كما كانوا يزعمون، يقول الزبير سيف الإسلام بأن أحمد البدوي هو أول صحفي عمل بالمبشر تحولت جريدة المبشر إلى صحيفة بمعنى الكلمة 1850 - 1878، إشتغل فيها الكثير، وتنوعت مواضيعها، ترشد الناس وتقدم الوعظ والإرشاد، نشرت الدراسات العلمية والأخبار والمقالات منها كتاب رفاة الطهطاوي، ومنشورات خاصة بالشعروالألغاز وأحداث مصر والعالم العربي وكليمة ودمنة وكتاب مروج الذهب ونقل الحدث عن الهند ومن الأقلام التي كتبت، فيها ابن السادات والحسن بن بريهمات وأحمد بالفكون.

عرفت الجزائر علماء ذاع صيتهم في مجال الفتوى لكنهم لم ينتهوا للعمل في الصحافة، بل كانت كتاباتهم بمثابة صحافة، إن الكتابة الصحفية قبل الإحتلال لا يمكن التأريخ لها بسنة معينة ولا الجزم بوجود أقلام إتخذت من الكتابة الصحفية وسيلة لعيشها كما أنه لا يمكن أن نؤرخ لوجود مراسلين صحفيين لصحف مشرقية أو حتى فرنسية، كما لا يمكن أن ننكر وجود كتاب ساهموا بمقالات كثيرة في صحف مصرية (الأقلام المصرية) التي كانت موالية للأتراك ولا تنكر المصادر بروز كتاب رغم وجود وضع ثقافي متقدم للغاية، تحدث الرحالة الفرنسي «dubardi» عن وجود ثلاث جامعات في الجزائر لتعليم المذهب المالكي في مدينة الجزائر وحدها، لم تكن الجامعات على غرار الأزهر أو الزيتونة لكن كانت هناك دروس جوامعها كثيرة تضاهي ما يقدم في الأزهر كدروس سعيد قدورة وعلي الأنصاري وأحمد بن عمار بالعاصمة وسعيد المقرئ بتلمسان وابن رأس بمعسكر وعمر الوزان وعبد الكريم الفكون وأحمد العباسي وعبد القادر راشدي بقسنطينة كانت شهيرة جداً لجهودهم وليست بدافع تجاري سلطوي، كما انتشرت في تلمسان 50 مدرسة والجزائر 100 مدرسة وكانت أقل مدرسة وأصغرها يطلق عليها المسيد وهو إسم محرف من كلمة مسجد وفي البادية يسمى «الشريعة»، كانت الكتب تنتج محلياً ليس في مطابع لإفتقار الجزائر إليها بل عن طريق النسخ باليد وقد إشتهرت الجزائر بنسخ الكتب والتأليف بتلمسان وبجاية وقسنطينة قد وصف الرحالة المغربي «التمغروطي» بأن كتب الجزائر لا تضاهيها كتب إفريقية وقد كتب أشهر مؤرخي تلك الفترة «البارون ديسلان» عن عظمة وجمال وزخرفة كتب العاصمة وفي تلك الأثناء ذاع صيت الخطاط «ابن مقلة» حتى صار يضرب المثل ب«رب المقلة».

إن دراسة الأعلام الديني من خلال الأنواع الصحفية لم يكن وارداً بالنظر الذي عرفته الصحافة مع القرن 19 عشر فقد كان التعليق الصحفي هو السائد في بداية الصحافة «جريدة الجزائر الفرنسية» أسسها صحافي أوربي يدعى TH ENIK ظهرت 5 مرات

في شكل كبير، صدرت أول جريدة بالعربية سنة 1904 ثم سرعان ما أعاد نشرها «محمد كحول» بأقلام جزائرية، ثم جاءت صحيفة الجزائر للنفان «عمر راسم» سنة 1908 وبوهران جريدة الحق لعبت دورا كبيرا في إثارة المواضيع الهامة جدا وفي سنة 12 أصدر «عمر بن قدور» جريدة الفاروق التي دعمتها أقلام جزائرية وتونسية، وأعاد «عمر راسم» سنة 1912 نشر جريدة ذو الفقار. اعتبرت أول جريدة عربية أكتشفت الخطر الصهيوني، وفي سنة 1915 ظهرت جريدة أخبار الحرب معلنة عن تصورات «المشكل الأروبي» كما يمكن ان نؤرخ للصحافة الاسلامية منذ سنة 1912-1914 حيث ظهر للوجود «صحيفتين»، المغرب جريدة عربية نصف أسبوعية أصدرها «فونتانا»، بالجزائر سنة 1903 الى غاية سنة 1913، المصالح جريدة فرنسية عربية أصدرها «العربي فخار» ومما يلاحظ أن الصحافة الاسلامية كانت منعدمة تماما، رغم وجود علماء مسلمين قبل بداية الحرب وبعدها مباشرة ظهرت صحف فرنسية اللسان إسلامية المبدأ، منها جرائد الإسلام، ذو الفقار، الحق والفاروق، ومن الصحفيين الكبار، الذين ظهروا في تلك الفترة «محمد بن يلس عبدالعزيز الزناقي» «الحسين بن الطاهر الفرجيوي»، «الحاج محمد بن كحول»، «عبدالله القلعي» فجرت تلك الاوضاع الثقافية والإعلامية قريحة العلم لدى الشيخ فكانت بمثابة الينبوع الذي اخذ منه الشيخ سي عطية منابع العلم والمعرفة.

ان فكر وثقافة الشيخ سي عطية كما سيظهر الآن نشأت داخل حقل الثقافة الإسلامية العربية، التي عرفت مفاهيم الإصلاح والتجديد والإتباع والإبتداع والسلف والإجتهد والتقليد والإحياء كما اشرنا اليه في النقطة السابقة.

لما تضافرت مجموعة عوامل كانت رادعة للوسط الاجتماعي في الجلفة ومحيطها كان لا بد من اخال تقويم واضلاح امرين ارادهما الشيخ سي اعطية. وهما

- مساعدة المؤمنين المسلمين على فهم امور دينهم لانها غضفت بهم بعض الماديات التي انستهتم الكثير من امور الشرع) ومثل هذا التفكير هو رمزا سامي لتقديم مساهمة في هندسة السلام مع الاخر
- تبسيط السلوكات الدينية من خلال اشعاره الدينية للناس (وهذه مساهمة لتقوية اللغة واثراء منظومة الدين عند المؤمن البسيط.

لنتطرق سلوك الهندسة الروحية لسلوك الاخر وترييضها لتلائم مع مقتضيات الشرع:

يستطلع الشيخ « سي عطية » في مبتدأ كلامه وهويوصي أحبابه وأقرانه من رافقوا جولاته العلمية، وتابعوا حلقاته النورانية الدينية بتوجيه الطلب (الدعاء) الى الله مباشرة مصاحبا إياه بجملة من العروض الموحية إلى قوة بصيرته ونقاء سريرته، وهو يتوجه الى الله سبحانه وتعالى، إن الدورة الدعوية عند الشيخ «سي عطية» هي دورة إعراف بالذنوب قبل التوجه الى المولى عزوجل بالدعاء، وتدخل في إطار ما نسميه إعلاميا بالدورة المفتوحة (1) التي تحتوي في باطنها على مجموعة من الإقرارات الجماعية للشيخ «سي عطية قدس الله سره» منها (قلة الزاد، الزلل، التقصير)، تبين لنا هذه الإقرارات تواضع هذا العالم الجليل وهويبتوجه بيديه الى المولى تعالى، طالبا منه مجموعة من الطلبات، طلب الرحمة، طلب المغفرة، طلب العفو، طلب الأمن وطلب الرضا، وطلب الستر، كما أنه أوصي أبناءه وأحبابه بالدعاء له عن جلد وصبر، من خلال صنفين من الدعاء، الدعاء المباشر وهو الصنف الذي سجلنا فيه مفردات الدعاء في البيت الاول.

لا تغفلن عني فديتك بالدعاء *** حيا وميتا في المقابر مودعا
وبالدعاء غير المباشر عند قوله :

والله يرحمني ويغفرلتي *** فهو الذي برأ الوجود وأبدعا

ومن خلال «الجمع بين الدعائين» تبينت لنا مجموعة من القيم ،قيم إيجابية(4) ونقصد بها تلك الصفات التي أوصانا بها الرسول صلعم كالتي وردت في حديث المصطفى « من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والأخرة والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه » الرحمة ، الرضا ، الستر، البشر ، الامر بالمعروف .

وقيم سلبية تحمل «الصفات التي تنطبق على السلوكات» التي كان السلف الصالح يدعو الى إجتنانها وهوما يرد في مخطوطاتهم بفضل التنبيه، حيث ذكر أبي عامر بن عامر الأشعري في قول المصطفى«نعم الحي الازد والأشعريون لا يفرون من القتال ولا يغلبون هم مني وأنا منهم»(6).

ان الشيخ «التحريم المرحوم أعطية مسعودي» أنعم الله عليه كان كثير الدعاء مستمرفيه ، لا ييأس ولا يقنط ولا يتعجل ، ما يعلن منه إلا ما يراه مناسباً لفهم الناس والأبناء، لذلك يضل «مرتجاه» في المالك بان يفك كرب المسلمين، وهذا لا يفهمه إلا من لازمه بالطواعية والمجالسة الطويلة فالمتمعن في قوله :

فالحر لا ينسى الذي أسدى له *** خير لو كان الرقيق الاجدعا

يدرك للتو أن الشيخ «مسير» في إعطاء المعروف والعلم، حتى أنه كان رحمه الله، عندما يتزل مضارب يدعى إليها من قبل عامة الناس (يرفع بيديه إلى السماء)، طالبا الله عزوجل ببسيط القول ليتنازل من قدر إنسانيته، يشعر من يستمعون إليه ، بأنه «عبد منيب» يخاف المولى تعالى يطالعه طالع الخير قوله صلعم « ألا أكون عبدا شكور » في رده على الذين قالوا له لماذا تعذب نفسك بالعبادات وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟«هذا الطالع المستظرف» إنما إتخذة الأولياء الصالحون والمدد المفسر من ورائهم (قدوة)لفضح ما قد يخبؤه اللسان ، جل من أنعم عليه بفيض العلم الرباني سوى أن يقول في قمة الندم والخوف من البارح المصور إن زاده وما إتخذة وعمله من أعمال طوال حياته ، ماهية إلا « شيء قليل»والقليل هوكل ما صغر من مادة أو معنى ، فهذا «الصغير المتعاطف في حياة الشيخ «هو» كبرمتكثير في حياة بسيط يجهل دينه» فيإياك إن تنسبه إلى (إدراك)، أن العالم الجليل إنما يوصي نفسه بانها فانية وما قام به من أعمال هي زلل ماضية ، تذكره في ذلك صرخة نبي الله يونس عليه السلاموهو في بطن الحوت لما ذهب مخاطبا « سبحانك اني كنت من الضالمين » فاذا قال زادي قليل ليس لي عمل به فهذا بمثابة التواضع نزولا عما قاله «يونس عليه السلام» خاصة ان الأمر يتعلق بوقفته أمام المولى تعالى «تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون سورة السجدة 532، يكثر الهدير ولا من مسمع غير نفس نفسي وإذ يعظم من هول ما صاروا إليه ، فالمناجاة الإلهية لا يعيها إلا متمرس من عباد الله وقد حق ذلك عند قوله : والله يرحمني ويغفرلتي *** فهو الذي برأ الوجود وأبدعا .

➤ حكمة: النصيح والتناصح :

إعلم أن الضعيف يكون قليل الزاد في الحياة أو في سفره، لكن ذكره يستسعو يشتهرا إذا نصح الأمة، النصيحة «مثوبة مجلية للوهن» ومقوية للبدن ، يقال عنها طابعتها روحاني، يستقيم «حاله» ويستمر مآله الى ما يوصي به ربنا، «فالنصائح» ماجبل الخلق على «القمة» من مكاسب عقله، وما أشارت إليه شموع العلم ويقال في المثل الشعب(« يعرفوك الناس من النصيحة حتى ولو كنت في صورة قبيحة»).

إن معرفة الناس لك، لاتظهر إلا بما تقدمه لهم من نصائح، تقودهم إلى ما يفكرون به سواء أكان فضا، مرا أوفيه فاقه من عيش، فالوجوب مضطر، كماورد في المثل المتخصص من أصل البيت الأول للشيخ سي اعطية .

وكم لي على ضعفي ونزر بضاعتي- وافق فيهم بالنصائح تعرف

نعود إلى تفصيل النصح الذي أورده الشيخ، بدراسة إستنباط القيم الإيجابية والسلبية ليدرك القارئ الفقير مفهوم الجميل الكلام في أبياته الدرية .

أدل على خير وأدعو الى هدى *** وأوضح حكما بالبيان وأكشف

وولله لولا خشية الله ربنا *** ومالك يرجى وما يتخوف

لكنت تركت الدرس منعزلا *** أثبت لهم نصحي ولا اتكلف

إستعمل الشيخ سي اعطية 'ست قيم إيجابية' هي « الدال على الخير » « الدعوة الى الهدى » « توضيح الأحكام » « الكشف عن الأحكام » « خشية الله » « الخوف من مالك » واستعمل قيمتين سلبيتين هما : ترك الدرس، عدم النصح ، نستجمع من كلامه « أخلاقه الصوفية » على ما هو سائد في سنة «محمد صلعم» وكأنني به يرتع من حديثه صلعم « الأخلاق مخزونة عند الله تعالى فإذا أراد الله بعبد خيرا منحه منها خلقا» والخشوع والخوف من الله تعالى مصدره ثبات النفس التي تعتبر أسمى خلق في متصوف متجرد الى الله، يحيي بها نفسه من هجمات المتملقين والحساد.

➤ حكمة: الإلتزام بشكر الله تعالى

إعلم أن «الإلتزام بقواعد الحمد وإقرار الشكر» من موجبات العمل العبادي الصالح ، فإذا كان الحمد متسلسلا كما جاء في صحيح مسلم عن سعيد بن أبي وقاص رضي الله عنه وأرضاه» كنا عند«رسول صلعم» فقال« أيعجز أحدكم ان يكسب في كل يوم ألف حسنة، فسأله سائل من جلسائه، كيف تحسب ألف حسنة؟ قال يسبح مئة تسبيحة فتكتب له ألف حسنة أو تحط عنه ألف سيئة، أخذ الشيخ سي اعطية مسعودي قدس الله سره بمبادرة تحبيب عباد الله للذكر والتسبيح لذا نجده في درره الأتية يقول :

الحمد لله قد وعدا *** بالنصر من أطاعه على العدا

سبحانه فوعده لا يخلف *** اذا اتى بشرطه المكلف

إن تنصروا الله كما في الذكر *** ينصركم وأصدق بوعده البر

يدعو الشيخ سي اعطية المسلمين الى الإقتداء بسنة المصطفى الكريم، لحبه لهم على طريقة الإمام أبي حامد الغزالي، وهو إمام الأئمة العامل بطريق التزكية ، اذا «تزكت النفس» تجلت آيات المحبة التي بها يتم النصر والدخول في عوالم البر والخير، (إنعص)

هي أكبر نصيحة التي توصل من أطاع الله ، وأدى ما عليه «إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى الاية 8 سورة العلق ولذلك اعتمدنا على إخراج المثل النسبية من الدرر الشهية جمعا وقياسا

تظهر الأبيات السابقة «خلق وطريقته في الشكر والحمد»، قيل في إحياء علوم الدين عن «أبي حفص من عرف كوامن نفسه لم يطمع في العلو والشرف، ويسلك سبيل التواضع فلا يخاصم من يذمه وشكر الله من يحمده» هذه صفة من أخلاقه جعلته يتواضع لله في كل مرة ، غير أنه بما يقال عنه فقد قال الجلاء (4) «لولا شرف التواضع كنا اذا مشينا نخطر»، وما ذلك «بهين» عند ربنا وقيل عن «رسول صلعم» كما ورد في الإحياء ، «إن من رأس التواضع تبدأ بالسلام على من لقيت وترد على من سلم عليك ، وان ترضى بالدون حتى المجلس وان لا تحب المدق والتزكية والبر ،» كانت هذه الخصائل اضحة في «الشيخ سي اعطية قدس الله سره» ، ولا أعوز اليها أن نرى أبنائه ومن سمعوا عنه يحتذون بمثل ما كان يعمل وأن «لا تغرهم الحياة الدنيا» حتى لا يتصدع جدار ولا يهرم «عبد» قبل مواعده ، ولا يعطى جرم في قاصر ، ليظن الناس انه معافي (5) ، خصوصا وأننا أصبحنا نسمع كثيرا من أدياء الدين والقصاصيين اشياء عجيبة صاروا كلهم أهل فتوى ، وقد دخل سيدنا علي كرم الله وجهه ذات مرة الى المسجد ، فاذا برجل يقص ، فقال ما هذا ؟ فقالوا رجل يذكر الناس ، فقال ليس برجل يذكر الناس ولكنه يقول أنا فلان ابن فلان فأعرفوني ، أرسل إليه فقال «أتعرف الناس من المنسوخ » (6) قال (لا) قال رضي الله عنه « أخرج من مسجدنا ولا تذكر فيه ، وقال أبو إدريس الخولاني..لأن أرى في ناحية المسجد نارا تتأجج أحب الي من أن أرى في ناحيته قاصا يقص..، ولهذا كان الشيخ دائم الذكر ملتزما ب«الشكر لله تعالى» متحذرا في الوقوع في الزلل معتمدا على الذكر وهو ما يظهر في قوله ،

ان تنصروا الله كما في الذكر *** ينصركم وأصدق بوعده البر
➤ حكمة : التادب مع الشيخ.

يبين الشيخ «سي اعطية قدس الله سره» أهمية أخذ العلم عن الشيخ لانه توارث من يتبع «التشبع والتعمق» يكون المتبع قد آمن شر المسخرة (مهبط عن سرادب الخوض في ما سواها من علوم الوضع المدكن) ، جامعا بين عناصر مكملتها لبعضها ، كالحفظ وجمع الكتب وأخذ العلوم ، وكأني بالشيخ سي اعطية يؤسس منهجا انسانيا يطبعه على محتويات النصوص لاستخراج الجائز من المردوم (7). ويتضح ذلك عند قوله :

واذا لم تكن حافظا واعيا *** فجمعك للكتب لا ينفع

ومن ياخذ العلم عن شيخ مشافهة *** يكن عن الزيغ والتصحيح في حرم
ومن يكن اخذ للعلم من صحف *** فعلمه عند اهل العلم كالعدم .

وسيجرنا شرح منظومة الشيخ سي اعطية إدراكا بواجب الحفظ مع الوعي وأخذ العلم من الشيخ تذكار لطريق الصوفية (الكتاب والسنة)، كما أخبر بذلك «زرعة إجازة عن السلمي قال : سمعت الحريري يقول صح عند أهل المعرفة أن للدين رأسمال، خمسة في الظاهر (7) وخمسة وخمسة في الباطن ، فأما اللواتي في الظاهر فصدق في اللسان و سخاوة في الملك وتواضع في الأبدان وكف الأذى وإحتماله بلا إباء وأما اللواتي في الباطن فحسب وجود سيده، وخوف الفراق من سيده ورجاء الوصول الى سيده والندم على فعله و الحياء من ربه.

أكد الشيخ « سي اعطية قدس الله سره » من خلال ما قال المثل العامي « الحرفة بلا شيخ ما تتعلمهاش » (8) أن ما يصدر في علوم المنهج الصوفي تقود السائل أو الناهل الى بر الصواب فهومثابة المشرف على عمل طالب باحث إذ يخطره بمأمور الزيف إن وجد وبزجره ينهاه عن عدم تكرار استعمالها، ولا يرب أنه ربما يؤول الكلام في غير موضعه بدون تكلف ، كأنما هوت به الريح في قرار سحيق ، ومنه يتضح أن الشيخ هو الذي يخرج من مقصده التصحيح (أنظر كتابنا لاتخذوا العلم من صحفي 25) صادر عن دار الاوراسية سنة 2002 ، من خلال ماتم جمعه يمكن بناء الحكمة الصوفية التالية : « الحفظ بالوعي عن الشيخ إدراك » قال الخطيب البغدادي حق الفائدة أن لاتساق الاالى مبتغها، ولاتعرض الاعلى راغب فيها، فإذا رأى المحدث بعض الفتور من المستمع فليستك، فإن بعض الأدباء قال نشاط الفاشل على قدر مهم المستمع ثم ساق بسنده عن زيد بن وهب قال عبد الله حدث القوم مارمقوك بابصارهم، فإذا رأيت منهم فترة فأنزع. وذكر في المقدمة الوثيقية يدفع الشيخ اعطية قدس الله سره عن المرید ذلك الوارد بطرق الإستدلال او بطريق الحال..

➤ حكمة التعافي والتسامي

ترصيع الجواهر في كلام الشيخ « اعطية قدس الله سره » يظهر في كل بيت من أشعاره، لو أن تلاميذه نشرها بالمساجد والمصليات والمواقع لكان تأثيره أنبل وأشمل ، عندما نقرأ قصيدة عهدة الدين (انظر الملحق)، تظهر لنا «ثلاث درر نقيه» من الأخلاق الصوفية منها إجتنا «ما لا يعنى» «العمل بالنية» ، مباعده الفتن عند قوله :

أدأب ودع ما ليس يعينك إعملن *** بنية مباعدا كل الفتن
وصور أخرى

إحياء القلب بالذكر ---- وفائدته الحماية من ملهيات

الولاء للعلم ---- وفائدته استجابة الدعوة

مضاعفة النوافل ---- وفائدتها النجاح في كل المساعي

وعلى ذلك يكون الشيخ « سي اعطية مسعودي قدس الله سره » أراد إن يبين في حكيمته «تواصل وتوادد الغريب» شارد الذهن ينهاه ويقول له إياك وأن تتدخل في أشياء لاتعنيك وإعمل على توظيف النية، بمباعده الفتن والصدق مع المعلم، وضاعف النوافل والتقيد بأمر الله وذلك بالإعتماد على الله ومضاعفة الذكر، والعمل بتلك المنجيات سوف يفتح الأبواب أمام العمل بالنية ويضاعف من مساعي نجاحه في الحياة وفق مسارات الأخلاق.

(الصدق مع العلم)

واصدق مع المعلم المرابي *** يأتيك إن صدقت فتح ربي

(مضاعفة النوافل)

واد فرضك وزد نوافله *** فهي بإنجاح المساعي كافله

(التنفيذ بأمر الله)

فالله لا يقبل ما لم يأمر *** بت العباد فامتثل وشمر

(والاعتماد على الله)

واسمع همومك بهم واحد *** معتمدا على القوي الواحد

(مضاعفة الذكر)

واحي قلبك بذكر الله *** محتميا عن سائر الملاهي .

➤ حكمة الاعمال المنجية :

قيل عند السلف « الحلال بين والحرام بين » أثلج الشيخ سي أعطية قدس الله سره «صدور طلبه العلم بإقرار السير نحو النجاة بمفاتيح الإقفال التالية: (الحج، الجهاد، العلم، تجارة، أخوة الزيارات) بست متاريس لإجتناوب (البدعة، المال الحرام، سلب المال، الفرار)، يدل هذا التميز المقطرب بين المطلب والمهرب على أن الشيخ سي اعطية مسعودي سلك سلوك الزهد وإقتفى لنفسه كما لفقرائه طريق الصلاح والهدى .

أصبح مفهوم الحياة ينقسم الى شطرين شطرا بالزيادة في الأعمال و شطرا في الهروب إلى أعمال الدجال .

أول تسعة أقسام ترام *** حج جهاد غيره علم يقام

تجارة أو اكتساب أو رباط *** أو إخوة في الله زهم باغتباط

وستة أقسام سير المهرب *** فراره من نحو هرج اضطراب

أوبدعة عمت أو المال الحرام *** بأرضه أو صنم يدي الأنام

أو كان يخشى سلب المال أو أذى *** يلحق حسبه وعرضه كذا

قدم ستة منجنيات يهلكن 6 مهلكات، كلما كانت النفس في أقرابها ناجية إلاوقصدت للمهالك الضالة بالقضاء على التوحش المفضي إلى أنسنة الإنسان بسلوكياته المتردية والرديئة.....

➤ حكمة السادسة الاخذ بالوشائج :

تظهر معاناة «الحياة» (تسلسلها عليها بانها وهادمها) كأعداد قياسية وضحتها «الشيخ الجليل أعطية مسعودي قدس الله سره» في شكل رسالة (تضم بين أكتافها مطارح ومثاليج) على خطى «وشائج» من القوم وهو الشاهد الأكبر على حضورهم» أن يصيبون أو يخطئون» .

قال بعض العلماء بالأثر * أقسام ما يجري على دنيا البشر

25 صفة منها :

5- صفات تسمى (القدر) وهي رزق-نجل-أهل سلطان عمر

5- صفات تسمى (اكتساب) منه نار- عفة - ركض - وخط

5- صفات تسمى (عادة) وطء-أكل- نوع - مشي - وقدر

5- صفات تسمى (جوهر) زهد - ذكاء - حن - وار - بدل

5- صفات تسمى (وران) خير - نماء - أمانة - وصل وبر

➤ حكمة العمل التطوعي :

كرس اسلافنا حياتهم لتقديم الوعظ والنصح (بدون أجر) مثلها «مثل العمل التطوعي داخل النظام الجمعي «غير أن النصح يختلف من عالم إلى آخر، بدأت سروج للأمم بعلمائها» الشيخ سي أعطية قدس الله سره» علم (بفتح العين) قدم قبل إن تنشأ الإذاعة الشيء الكثير ولوعاش في وقتنا هذا، لما كان ينطق في حضرته نفرالا بإجازة العالم عن الشيخ، ان الدين مرآته «نصيحة» يقدمها متمكن وراسخ في العلم إلى وترأوفرد يعيش في كنف الحياة مترفا، إجتبى المولى تعالى شيخنا علماالفقر، ببصيرة صابرا، بإذنه، ينصح «الناس بأمورالسيرة الموضوعة عن أبي هشام والمتركة على إن (وحدانية الله) كانت محرك كل الأنبياء والرسول وهي بماخلق الله» الظواهر والبواطن» منظره إنقيادكأننا نشد الطفل من أذنه، لنزبه آيات الكون بين الظواهر والأملك والمادة والجمال والنعم التي لا تحصي حتى تكون حجة على الذي يرى، عليك ايها المتبصرأن يحمدالله على ما هو فيه خيره وأوشره وإذا أراد المعانة والمداوة، فالدواء حسبه بسيط هو عمل الإقتدار بالسنة الأحمدية وحفظ سلوكاته وأقواله، وأفعاله إتجاه العباد والإفراد، مايشد به الفرد إيمانه سوى قراءة كتاب الله (القرآن) وتدبرآياته والإعتناء بها، ويقصد بالنصح ما تلقاه من أئمة الزاوية الجلالية من فضل الله وسيرة النبي إن يجتمعوا بالطاعات نوازلهم وان كثرت فلا شيء يجده نفعا سوى القول اللين، والمجادلة الحسنة الطيبة هي من تفي إلى تبين نصرة الدين بالعلم والعمل والنهي عن المنكر .

ربط الشيخ «سي أعطية قدس الله سره» في ماله علاقة بتوحيد الله واتباع سنة المصطفى الكريم وبقراءة كتاب الله وتدبرآياته والتواضع للغير والصفح عن الجاهل وتكثيف العمل والعلم والنهي عن المنكر، إن النصيحة المقامية هي توحيد وسنة وقراءة لكتاب الله (موجه لأمة المتقيين والعارفين بالنصيحة العامة هي الطاعة، لين القول، الصفح، العمل والعلم، النهي عن المنكر .

➤ حكمة مايجب مع اللسان الفتان

باللسان يمكن إن تقول كلاما «دريا» كما يمكن أن تفتح أبواب جهنم وفي حكمة اللسان الفتان، يرى «الشيخ سي أعطية مسعودي قدس الله روحه» بأنه مفتاح لإصلاح ما خربه الإنسان حتى عاد يتخذ من مجاري الهتان سبلا للفرقة والتوهان، فاعلم أن اللسان يتسترلغيبية والكذب والفضيحة والباطل فهو شرهم فسادا، قد يجعل المنتقي لدفعها يقرهم باللسان، لأنهم من صفات القدر والتكلان، وإذا كان في الإصلاح والبناء على الاضطرار، يجوزله من باب الخجل الإصلاح إذا كان لرأب صدع مشروخ أو حفظ للنفس من الغلط أو حماية المال أو في الحرب أوستراعيوب الكاشفة أوجبرلقلب وصي يقدم نصيحة لزوجة، مجموعة هذا البيان في ذكر اللسان، كما قيل في وصفه، أنعم الله على الشيخ «سي أعطية» مسعودي وهو يزجره في حماسة لمذهبه .

وجاء من شهد زورا علقا *** في الحشر من اللسان بأس اللقاح

ومن تحلم بحلم لم يره *** ويل له يوم اللقاح ما أخسره

ومن تشبع بما لم يعطه *** اجلب مقت ربه وسخطه

واستر على المسلم كل عيب *** وصنه في حضرته والغيب

لا تفش سر من سر أفردك *** دون الملا واخش الذي أوجدك

ولاخير في لسان «ألتهه الضنون ليشهد بالوزر شهادات زور»، فعلقه الله يوم الحشر ولم يسترعيوب الناس، أفشاها ضمنا أنه

سيكون مهبر للناس بحفظه من قصص لا يسمع به من به وهن ، عن تفاصيل حياة الأمم يلزمها ولاهوحافظ للقرآن حفظ المتدبر، وكأني بالشيخ «سي اعطية مسعودي قدس الله سره» يريد إن يقول إن حفظ القرآن ليس باللسان بل بالتدبر والتدبر هو قراءة تفاصيل الدخول في كباثر الأمور وتبسيطها للعامة بالآية القرآنية التي تظهر معها الحجة وقراءة بالأحكام مع التمعن .

➤ حكمة تعليم الكتاب والسنة :

يتخذ الشيخ سي اعطية مسعودي قدس الله روحه من بعض رسائله إلى العامة، «لمعة موقدة» تلج لها الأبواب الموصدة ، يريد أن يبين وظيفة الإمام مما ثبت بالسنة وبإختيار الصحابة والتابعين فقوله :

والأصل في الشرعة كتاب الله *** مقدا وسنه الأواه

إجماع أهل العلم والقياس *** بتا لكل مهتد نبراس

يقدم في متونه «وظيفة هيكلية» كالتي أنبنى عليها بصور الحكاية الشعبية 10 يريد إن يبلغ الناس أن شرع الله وسنة المصطفى هما الأصل وهذا بيت أهل الصوفية علمهم «أنعم الله» فإذا أخذنا بالقياس الأدبي على ما أراد قوله تتجلى لنا الفحوص تعيشها وضائف متتالية في باب المستتر من العوارض كما قال العلامة الزاهد عبد الوهاب الشعراني وغيرهم سيدي بن عومرو عبد الرحمان الثعالبي والشيخ عبد القادر الجيلالي .

إن العمل عند أهل العلم والقياس يجب إن يكون بالكتاب والسنة .

وظيفيا : أباخ الشيخ القياس للعمل بالشرع وبالسنة للحصول على النية ، ثم عرض من فضائله للناس بعض الصور الشعبية التي ترقى بالعبد إلى مستوى التقوى .

الدين يا أبا التقي النصيحة *** في قوله للمصطفى صحيحة

ولعل إشراقه في كل مرة على حياة المسلمين، بالتذكير بما جاد الله عليه من قداسة المكان ، الوظيفة السامية التي نادي بها هي تهذيب النفس، ولم يقل (إجبارها أو قتلها أو هجرها)، بل أراد إن يوظف لمستمعيه معيار «التهذيب» كل لديه بهذا المعيار وأوجب، أن يقدم لأجله مئات البنود لإصطفاء النفس وجعلها خيرة تنوح وتفرح مع الاختيار، والنفس بغير عقل (الذهن) لاخير في ما لم تعقل عقالها مع العقل في مربط واحد فلا منبه ولا منته، والمنبه صفة التهذيب والمنبه للمهذب ولا يرقى ذلك في وظيفة المهذب إلا إذا (صبر، وشكر، وتاب ، ولم يذم)

هذه الأعمال الأربعة هي التي يتولاها الموظف المهذب لعله يبلغ بها مثالية توصله الى الله سبحانه وتعالى (« يرفع الله الذين امنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ») المجادلة 11 .

ان إصطفاف الوظائف في فكر الشيخ «أعطية قدس الله» هي وجهه مجلبة للسعادة الإنسانية ومطرح للراحة النفسية ، تعوزني في ذلك لفئة لقمانية رائعة وددت لوعاش الشيخ عددا للزمتة خادما حافيا « يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله سبحانه وتعالى « يعي القلوب بنور الحكمة كما يعي الأرض بوابل السماء» ورحم الله العلامة الفهامة سيدي محمد بالكبير عندما كان يجلس للدرس يضع ركبته على ركبي الشيخ العارف النحرير الحافظ سيدي أحمد بن ديدي فيبقيان على هذه الوضعية من صلاة العشاء إلى صلاة الفجر .

➤ حكمة التوبة والالعود :

يبين الشيخ اعطية مسعودي قدس الله سره للتائب مجالات يتبعها في حياته إذا أراد أن يطبق الخلاص من الذنب واعلم بان كمال التوبة *** رد مظالم وترك الحوبة

إن هجرالدنيا إحتساباً لوجه الله خوفاً وجزعاً من قوة القهار، لا يعيها إلازاهد متمرس، ويمكن (لعابد ناسك) متضرع بالذكر إن يهجر أعمال الناس ، لا يقحم نفسه في مصلحة قد توهم خصومه وترد عنه شفاعة أو شربة من ماء الحوض للمصطفى الكريم لا يضمأ بعدها أبداً.

كمال الصفة من مميزات الواحد القهار، إستحسانا كصفة لا تقدر بوصف من صفة الجبارتكون في «ردالمظالم» إلى أهلها كيف لا يكون الشيخ قد أفتى بجلال التوبة من خلال الكمال لله ولا يتم ذلك إلا بإجتنباب «محارم المعاصي» ككل ما حرم الله فجعل القلب صلدا لا يلين .

وقال بعض العلماء قل ما تشأ فمثله تفعل تأبى أو تشأ

من أكل الحرام جف قلبه من كل خير ويخاف سلبه

حي بصير بعد الاستنارة اشد قسوة من الحجارة

وجاء في الحديث اشقي الناس من كان ذا قلب غليظ قاس

➤ حكمة مجالسة العلماء :

أعطى «الشيخ سي أعطية مسعودي قدس الله سره» للضعيف الباحث عن النصيح «مطارح رحمة» تبلغ منها أسرار النجاة إن هو أتبعها لن يضل ولن يشقى ، وقد ذكرها مستشهدا بإمام الإئمة الشيخ الغزالي .

قال الغزالي : مجالس الورى *** إلى ثمانية قسمت كما ترى

مجلس أهل العلم فهم وتقي *** والاوليا صفاء قلب ونقا

قناعة وصبر عند الفقراء *** والعجب والرياء عند الامرا

إن ملازمة العلماء كما فعل رحمه الله كانت هي الوجهة الحقيقية للباحث عن مهدئات النفس الشاردة الباحثة عن قدوة إيمانية، يميزها الفهم والإقناع والتقى، كما هو الأمر لمجلس الأولياء ذوي القلوب الصافية النقية المسترسلة أنوارها من الأودية الإيمانية ولأمل في مجلس الفساق من يتهاونون على العصيان والزلل ومجالسة النساء فيها الغبن والندم بعد الاجترار ومجالسة الصبيان قلة حياء لأنهم لا يفقهون ومرفوعة عنهم الأقلام ومن غرضه يطلب من محبي النصيحة إن يختاروا أيهما للنجاة والسير إلى مرضاه الله وكأنه يريد إن يقول لهم الحلال بين والحرام بين

ومجلس النساء يحب الزنا *** ويجب الشهوة رائد ألحنا

ومجلس الصبيان فيها المزح *** وقلة الحياء فهو قدح

فاختر من المجالس الخيار *** واحذر سواه ترتفع مقدارا .

➤ حكمة القسم بالله:

ما جاد بالقسم فبالله توكيد الشارع المعزالمقتدر العالي الذي لاتدرکه الأبصار، النافع بناوأبدوننا القاهر فوق عباده كبيرمجل لا يوصف بالقدر الذي عليه، إلا ما تصورته العقول، وإن علت لاشيء معه وحيد منفرد قديم قديم الأزل، لا نقاش في ذاته، ولا في عرشه مهما إستوى لاتعيه الأبصار، مهما عبدت ولامت وقهرت نفوسها، الشيخ الجليل «سي أعطية مسعودي» قدس الله سره يعبر بالقول أن الله عظيم فوق السماء والأرض ولا بغيره نقسم على أمور دنيانا، بسم الله تفتح الأركان لعظمتته وتهدي العاديات الجائرة وتبث الرياح والعواصف وتبعد الأذى ولوم العداء الكبر قال الشيخ سي أعطية في شأنها والحلف إن كان فباسم الله *** لا غيره ولورسول الله

ان هذا الاعتناق إنما هو إقرار لعبودية الله في كونه لا شريك له مالك الملك، ليس معه أحد حتى ولو كان النبي « صلعم » من إصطفاه عن البشرية جمعاء، وليس بعده ولا قبله بعزيم مكانته من الإنس والجن فقد أخبر باسمه ما سبق قبل وبعد الطوفان. ➤ حكمة البر.... بالوالدين :

إضاعت «مضغة اللحم» من أسموها القلب هتاكة الحرم مبلية للبشر علماء وضيعها (خلف وسلف)، لم يشغلوا أوارها وهتكوا حجيم الأهم لم يعطوها الميزان، الذي وضعه المصطفى الكريم « إن في القلب مضغة إن فسدت فسد الجسد كله » وتلين القلب بالذكر وتحديد الحول والقوة بالله العلي القدير وها هو الشيخ سي أعطية قدس الله سره المفدى يهيك للقلب وضائف أسماها واجب عند قوله :

وواجب القلب اعتقاد الأمان مع سنة وطاعة بإحسان
إن إدخال الإعتقاد (الإيمان في العمق) كالإيمان بان «إلام» هي «الام» ولا منزوحة عن ذلك، من واجب القلب أن يعتقد بالإيمان بان الله واحد وبالرسول «صلعم» خير هذه الأمة وسنة « المصطفى صلعم » طلبا للتخليص من برائن الغبن، فإذا ماترسخت في دابة القلب مبدئية الإعتقاد بالله وسنة المصطفى حتما سيمارس نفس أحكام الطاعة ويحسن فيها .
ان الطاعة عند الشيخ هي إتباع سنة محمد «صلعم» تطبيقا لا تطبقا بحذافر، ما كان يفعل المعلم الأكبر بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، كان المصطفى رافضا للكفر محاربا لبوائقه كالكبر وعقوق الوالدين داعيا إلى برهما عند الكبر .

ونبذ ما ينقضها كالكفر وبدعة وموبقات الوزر
عوق والديك جاء الخبر من الكبائر التي لا تغفر
فاخفض أخي لهما الجناح فطالما عنك الأذى أزاها
➤ الحكمة الشعرانية :

أبلغ شيخنا «سي عطية قدس الله سره» وسدد به المنح الزكية وعرف ربه عن ورع وتوبة وتصوف، وإشتد بالمظلوم الزاهد الذي طلب من ربه العلم فزاده كما طلب قبله الرسول « صلعم » قال الشيخ الزاهد والعارف بربه «عبد الوهاب الشعراني «أنعم الله عليه قال «سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول « إذا كان رسول صلعم أمر إن يسأل ربه الزيادة في العلم فماضنكم بغيره واسماه أبي المواهب نظرا لرعايته في بحور العلم انشغاله بالفقه وكثرة تأويله لكلام المشايخ وأخذه بالا حوط وشرحه لمحفوظات المشايخ وعددها 50 كما ذكر في اللطائف وحفظ القران والمتون ولهذا قال :

ولأبي المواهب الشعراني عن خضر قطب ذو الهرمان
فكان الشيخ سي أعطية قدس الله سره من سيده الشعراني عليه شايب الرحمة بمثابة القبس العرفاني الذي دانت له
الأمواج وسائر من الروايات والترجمة المرورية في الخواطر الباطنية، إستمد منه الشيخ سي أعطية طيب الله ثراه دوافع التأثير من
تامين السلب من الإيمان فأعطى الوصف الروحية التي مانفذت عن طهارة وإسترضاء إلا أجابت لمولاه دوافع الشيوخ الفيضيه
، وهي ذي الوصفة كما قدمها الولي الصالح سي عطية منقولة بهية عن الشيخ الشعراني ناصع وباعث الخلواتية :

قال سألت أربعاً وعشرين *** إلف نبي عن دعاء التامين
من سلب إيمان فكل احتار *** ولم يجب حتى سألت المختار
فقال جبريل عن رب الأنام *** إن الذي يقرأ دوما باهتمام
آية الكرسي وامن الرسول *** لأخر السورة يحصى بالقبول
وشهد الله إلى الإسلام *** كذا قل اللهم بالتمام
خاتمة التوبة سورة الصمد *** وسورة الناس وسورة العقد
فاتحة الكتاب وهي خاتمة *** بحقها أنال حسن الخاتمة

كانت دعوات الصحابة دوما تثبت الإيمان وترسخه كما وصف الشيخ سي اعطية مسعودي
➤ حكمة اخذ الحكمة :

صاد الشيخ سي أعطية مسعودي طيب الله سره في حياته مآثر باطنية وظاهرية ، أراد إن يبلغ فيها شباب الأمة ناصحا
مستنصحا لهم، صارخا في وجوههم محببا لهم ما يرضى الله مكرها لهم الفساد، فهاهي ذي المعارج من يبلغ بها الفرد العلا:

- أخذ الحكمة ولو بالسعي لها واليها ومن أجلها في لوح الإيمان
- طاعة الله ورسول والمشايخ وأولى الأمر
- فإنما النصر حليف الطاعة *** والذل والخذلان في الإضاعة
- إصلاح الأعمال : كبرها وصغيرها
- والله واعد الذين امنوا *** وأصلحوا الأعمال إن يمكنوا
- صدق الوعد (الوفاء بالعهد)
- وإن يبدلنهم من بعد *** خوفهم أمنا بصدق الوعد
- عمارة بيوت الله و الصلاة في المساجد :
- وأعمر بيوت الله بالصلاة *** وذكره في سائر الأوقات
- تحصيل العلم وطلبه بالسفر
- وحصل العلم الشريف فهو *** شفاء كل علة وبلوى
- إن منافع العلم عند الشيخ شي أعطية كثيرة منها :

1- يحي العقل والروح

2- مقتنياته نور وفيه الهداية

3- يرفع الفرد في السادة ويعطيه الشهادة

وهذه المنافع ينالها إلا :

- الصابرون في طلبه وملازمون للشيخ

وقد أعطى الشيخ «سي أعطية مسعودي قدس الله سره» «لمحي العلم بعض الآليات للوصول إلى درجة العلم السامية وهاهي ذي الأدوات مرصعة الجواهر :

- أخذ الأكبر أهمية في المعرفة خذ اللباب وأترك السفا سف

- حفظ كتاب الله والإهتمام بالحديث « وأحفظ كتاب الله فهو العمدة / وإجعل من الحديث خير عدة .

- التحلي برفعة الاخلاق والصدق والشجاعة وحسن المعاملة وحب المؤمنين.

- استغلال فتوة الشباب في طلب العلم

- الابتعاد عن الظلم والبهو والخمر والغش والحسد

- احترام الناس العالم الكبير، الصغير

- طاعة الوالدين

لوالدين كن مطيعا محسنا *** فطالما معا إليك أحسنا

➤ الحكمة الحاوية :

أخذ «الشيخ الجليل سي أعطية مسعودي قدس الله سره» بمعارف العلم من الشيوخ النجارير، كما فعل ونقل الشعراني عليه شايب الرحمة عن شيوخه «أبي شعرا الماوردي» و«الشيخ ابراهيم المتبولي»، و«أبي السعود الجارحي»، مادك به وصف الأوصاف، رغبة في إلحاقها إلى الناس للاقتداء والتعلم .

يبدأ بقول (ذكر) ماينفع الناس والخاصة منهم وأهل العلم يستشهد بالحاوي قائلًا في صفوته بين رفوف الكتاب عشر مكفرات للسيات، إذا أخذ بهم المسيء أصبح كمن لا سيئة له، لخصها في واحدة .

كقوله :

مكفرات السيأت عشرة *** فتوبة وطلب المغفرة

حسنة يفعلها فتذهب *** ذنوبه كذا لبلاد مذهب

وضغطة البريصد عليه *** أو دعوة صالحه تهدي إليه

أورد حشرا وشفاعة النبي *** أورحمة الله اجل مطلب

➤ الحكمة الواقعية : الإمام بن جزي

يواصل الشيخ «سي اعطية قدس الله سره» نقل ما تأثر به، من علوم تلقاها عديدة في حياته نقلا عن المشايخ إلى الناس

والفقراء من أهل الطريق، يرشدهم في ذلك الى معرفة الله عزوجل التي تنقذهم يوم الفزع الاكبر من النار، وهو بذلك يتوجه الى ذلك الذي يرتكب الكبائر ولا يتوب الى ربه متابا
قال الإمام ابن جزى الفحل(50)

لا يدخل النار سوى من ارتكب كبيرة وبموت لم يتب
ولم يقل عفو الإله ذي المنن ولا شفاعة النبي المؤمن .
➤ الحكمة البلغيثية :

يختصر «الشيخ سي أعطية مسعودي قدس الله سره « العبادات في ماقاله البلغيثي رحمة الله عليه، وهو عالم نابغ أشرنا اليه في باب السيرة النيرة ظهران الشيخ قد قرأ متونه العليا مستفيدا ومتأثرا بأكوانه .
وفي قول البلغيثي *** ربي بجاهه فكن مغيثي

يذكر فضل الله على هذه الأمة، بإنزال الذكر الحكيم عليها كدين يقتدى به وباركه نبي الرحمة رسولا وسيدا للعالمين، وقد سعى في باب الطهارة الوضوء وغنيمه والغسل كما ذكر واجبا لأداء الصلوات الخمس، والجمعة عبادة أمر بصيانتها صونا مكرما وبالذات لما يفرح المسلمون بالعيدين (الظرو والاضحى)، و صلاة الكسوف والتسوك والتقصير و صلاة الاستسقاء والجمع في الصلاة وصلاة الميت وليلة القدر، واذا ما برع المؤمن في هذا الصور ربطا يمكن له أن يمرالى برا الأمان خيره ونعمه، لأن كل أهل العلم أجمعوا بتدارك تلك العبادات بطاعتها ينال ثوابها غير مدنس بل أبيض بياض الثلج بقوله :
إجماع أهل العلم منها حجة *** واضحة لسالك الحجة
ثوابه مضاعف سعادة *** إثارة تكتب في العبادة...

وإذا ما أصاب العباد «وباء مهيكل » بين طلب المعصية فقد إنبتت علمها الشهادة في الأثر قال الشيخ سي اعطية :

وكل من أصابه من الوباء فإنه شهادة جاء النبا
ومن له عدلان منها شهيدا بالخير كان في عداد السعدا
إذا أثلجت «بوارق النفس » بسنة المصطفى فإنها تلجأ الى دارالسيرة حيث يقول:
يحضر مبتها الامين مانعا عنه الشياطين فكن لي سامعا
ويبشر عبادها بدخول الجنة :
ويدخل الجنة من غير حساب سبعون في سبعون الفا باستيعاب
يلحقها ثواب فعل الخير زيادة في فضلها والخير .

➤ الحكمة المصدوقة اختيار الصديق

يتباهي الفرد بأصوله إذا كانت حقيقية «تمت للأصل بشبه فتيلة» ،فهو يكون قد أصاب الصديق، هذا الذي يربط الأواصر مع

الوالدين وينشئ منابع التوادد الجلي بين الناس، يكون «الصادق المصدوق» عند الشيخ سي اعطية هو ذلك الفرد المتمسك بدينه المتيع لسنة (صلعم) بنفسه كامل الأخلاق والمعلم ثابت الوعد في قوله المبارك :

شروط الصديق ان يكون ديناً صاحب سنة تقيا صينا

زكي عقل كامل الاخلاق سليم صدر ثابت

تعتمد شروط الصداقة عند «الشيخ سي اعطية قدس الله سره» على الدين والتقوى ورحابة العقل وكرم الاخلاق والوفاء بالعهود، فإذا ما إختار الإنسان فضيلة من هذه الصفات، فهو مقبل على إختيار صديق يكون له سندا وعونا في الحياة، عندما نقول العون والمساندة في الحياة هي أن يصادق المرأ لذاته إنسانا بنفس زكية تؤزره وتزج عنه شجون الحياة مصاعبها، فهو قد يلهمه بالإنصراف عن ما هو مسميء لذاته وديناه، وحتى حياته هكذا كان السلف يوقنون في صداقتهم ولا يخافون أن تصيبهم مصائب لأنهم تزهّدوا لها كما كونوا صداقات تقيم سلوك الأراء غير المستقيمة والأخطاء الوخيمة، ذلك كان «الشيخ سي اعطية قدس الله سره» «أسبق من الجميع لوضع ثوابت صديق متأمل متدين كريم الأخلاق وفي للمواثيق والمواعيد .

➤ الحكمة الشافية:

يتقدم الإنسان بسريرته الطيبة ونفسه الزكية بعلاقته مع ربه « يحوز علي راحة نفسية» تزيده إيمانا وسعادة، يحس عندئذ الفرد أنه طائر فوق البشر (الطير الصوفي)، أفضلم أجمعين، ذلك هو الإحساس الصوفي الخالص، عندما يزهد في الدنيا طالبا مرضاة ربه عابدا منتفعا، مما جادت به الدنيا عليه، وأذكر أني سمعت شيخا وربما ناصر اصالحا كاملا بالثبات ناصبا بالحقوق، بنى أربعة مساجد لم يشأ أن يذكر اسمه ولما علا المؤذن، بكى وابتسم «ذلك هو الإحساس الشافي الذي قل ما يحس به إنسان، ولم يصعب» الشيخ اعطية مسعودي عليه شايب الرحمة» علي الراغبين في الوصول الي هذا الاحساس الزيه حائنا إياهم الي نبذ الأحوال المحرمة مما يجعلهم يشعرون بالراحة الدائمة يقول عليه الرحمة :

من أكل الحرام جف قلبه من كل خير ويخاف سلبه .

➤ الحكمة النادرة:

أبدع «الشيخ سي اعطية مسعودي قدس الله سره» من صناعة الشعر حيث سجل قصيدته «سلام علي الشيخ» كان صوته فيها جلجلة بغية التقرب الي الولي الصالح عبد القادر بن مصطفى ملوحا إياها عموديا في منبت كل لقطة لفضها في جواهره الدرية .

فأعلم يا غارقا في ينبوع العلم حين بدأ

علا فوق هام الفرق بين جلاله *** وأشرق بدرا نوره بتلألا

كان الشيخ عبد القادر بن مصطفى ورعا متواصعا خدوما لطلبة العلم اشراقه دائم الروضة مضئ بالنورد معطر بالريحان تسكب بين جوانبه النصيح بذكر الله .

يخدمه مولاه استنار طريقه *** فمن يقتفيه لا يخاف ضلالا

أجزم الشيخ عطية قدس الله سره أن خادم العلم والعلماء فقيه أعطي ما أعطي صفات من الأنبياء وطريقته مبعدة عن ضلال

ء مهيجة بالحسد من صنع ضعاف النفوس

دعا الخلق لنهج قويم محذرا *** لهو أمنيات تجر إختلالا

يصرف عنهم بعلمه «متاهات الدنيا» ، حيث روى نجل الشيخ سي اعطية مسعودي قدس الله سره المفدى الأستاذ «يحيى شهادة في الشيخ سي عبد القادر بن مصطفى» حيث نصها (تواضع) يجعل منه خادما لطلابه وزواره ويقدم لهم الطعام بنفسه ويسأل عن هؤلاء الطلبة إن كان أحدهم لم يتناول طعامه، يذهب من منزله مبكرا ليصطحب معه براميل الماء ليكون ساخنا ومهياً قبل الفجر في الحمام المجاور للمسجد وبعد أن يؤذن الفجر يقوم بنفسه ليصلي إماما بالناس».

أمين على الشرع الشريف وحافظ *** لسنة من فاق الأنام خلالات

ومن لم يقيم باتباع مناقب الشيخ، ضيع من على طريقه نواضع ماعاد ليصادفها أبدا، خاصة لما تكون من طرف خادم علم.

له شهد الأعدا بباهر شره ونادت الصحارى باسمه وتالألأ

كيف لا يشهد عليه الناس هو خادم المدارس القرآنية ، ثمن الشيخ أسرارته وأقربفقهه وعلمه:

قوي علي حفظ الجوارح باسل *** فلم يأ إلا واجبا وحلالا

إن من أشهر دواعب «الشيخ عبد القادر بن مصطفى» هو تحليه بخاصية السيطرة علي جوارحه وهاته من أعظم النعم ، ولهذا

ابرع الشيخ في (تنويع ذروة القوة عند الشيخ الرباني عبد القادر بن مصطفى)

إذا قيل هل في الناس من مثله فقل واكد بإيمان مقالك : لا لا

ويجب «الشيخ سي اعطية مسعودي قدس الله سره» بالأدلة قارئا وقارعا بسلوك هذا الخادم الأمين لشرع الله .

دليل هدى للسالكين سبيله فكم صار بدرا من اتاه هلالا

يجلي مواهبه وصوانع العجب من سلوكاته الإيمانية، جعل الشيخ سي اعطية يصفة بدليل الهدى ويزيد فيه من قول حسن...

رؤوف رحيم صابر متحمل ومنهلة للواردين زلالا

تتفجر من برائن مدراسته بين حلقات العلم والذكرفتاوى بليغة ومعارف نابغة وطاعات منبجسة من الشرع ومحاسن رفيعة.

يقرئه « الشيخ سي اعطية قدس الله سره » سلامه للعلماء الاجلاء

سلام على الشيخ الجليل وحزبه *** وأولاده والمحسن فعلا

يروح ويغد وبكرة وعشية *** ورضوان ربي يرتديه ضلالا

دوائى دعاء منه في حالة الصفا *** يزيل عن الجسم العليل إعتلالا

يوافي كما المزن في شدة الضمأ *** فيوقظ روجي من سبات توالى

➤ الحكم القصيرة :

أ - طلب العلم

يأخذ «الشيخ سي اعطية مسعودي قدس الله سره» من شطر الحياة صنوان العلم فاتحا بين حواشيه متون الكلم الكثيرة التي يضرب بها ما شاء الله في الأرض ، فإن هي أصابت إنفجرت خبايا وطرائق للخلق أعطاها مولانا تعالى من نعيم أفضاله ، العلم على

معارفه دكة الله في الخلق ما خلق ليجابه البشر بعقولهم أطوار الحياة ، يجدون ما خبأ ولا أظن ما استعصى من العلم الا ما أغاره ربنا في كونه وعجزت عنه عولمنا في البحث المستمر، ولهذا أتخيل منظرا تلك المرصعات بالنجوم وهن يشعن بالأنوار على «أدمة القاع في بحر المحيطات»، يشبه أنوار العلم المتألأة في كل مكان ، فنورها يغطي كل عتمة وظلمة فلكرامة الشيخ سي اعطية هي نصف العلم يوصف لايغيه الا عاقل متبصرا من أصحاب الحقوق المحفوفة بالبصيرة النافذة قال عليه شايب الرحمة :

العلم نور من اصابه اهتدى *** به واجلى عن حجاه الغمها

ولأزيد الا من قبس التشبه، لك أن تتخيل يرحمك الله غرفة مظلمة جئتها تضع خرما فحرقه نور يضيء شطرها حفرت، لكنه يزيج جزء من عتمة قيمية ، ذلك هو الشأن في تحصيل العلوم (العلم مهلكة للظلمة)

ب طلب العلا :

تحضرنى عند قراءة هذا البيت :

وكل نفس تشرب للعلا *** لكن عزيزا من يديم الطلبة

نظرية سلم ماسلو للحاجات الذي طوره تايلور(13) واطاف لها فايول قرينة « الحاجة الى الاحترام » « فالشيخ سي اعطية قدس الله سره » بشرحه لهذا المبدأ « حب العلا » انما أوجب بديلا عكس ما وضعه فقهاء الإداري .

ان بلوغ المراتب في التراتيب الصوفية ليست أملا جامعا يرتقب منه حاجات مادية متنوعة ، بل هو مجاهدة فردية تسمو بالبشرى القاهر لنفسه ولملذات الدنيا الى مراتب اليقين والتسقيط في صورة الحق .

ولهذا فان منطق التسامي يكون بشرط ان يتصف بالعزة ومداومة الطلب ويحضرنى في ذلك بيت شعري (رزق قائله)

لا ينال العلا الا فتى شرفت *** خلاله فاطاع الدهر ما أمر

ب- اختيار الصحبة :

عندما يسمع المؤمن أذان اليقظة، محفزا إياه بالقدوم الى الصلاة والفلاح، فهو يستشعر ذاته بأن هناك «صوت أجل من عظيم، جبار» يناديه للغنيمة عندما تحدث الإجابة تكون رائعة، خصوصا لما يتحقق الرضا اليقيني، بإجابة الداعي يعتبر ذلك الوازع شي روحاني مهندس له علاقة بالشعور الصوفي الخالص خاصة لما يردد المنادي « أن الصلاة خير من النوم » ليت المتكاسل الساهي يعي ويصبر وينظر في ظلمه ذاته لعله يضاء له، وينقره نور اليقظة «الشيخ سي اعطية قدس الله سره» قدم المثل برمته «شارحا ومفسرا» بأن صحبة «الكسول» هي مقود أفاك يرمي بالصاحب الى نفس دحرجة الكسل، ويستبدل الشيخ «الورع» بصحبة التقي الذي لم تنجبه الأم، لذلك سماه أبا وهو التقي المحبوب

أذكر غيري بالصلاح اجبته على الخير كي ينجو غدا وافرط

تذكير بالصلاح النجاة

ذكر بالخير ينجو

إن وعظ المؤمن لغيره، «مزية وخلق جليل»، خصوصا عندما يكون المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، وعرف عن الشيخ كثرة التاثر «بسنة المصطفى»، دأبه أن يضل بنيان المجتمع محكم المجامع ، لا به شائبة وقد اعتبر أن ميزتي

«التذكير والصلاح بالخير» هما نجاة المؤمن من عبودية الملذات النفسية الجامعة التي تؤثر على النفس الزكية تأثيرا لا ينجو منه (الا بتبعاتها) من قطرات الخير والصلاح.

يبدع الشيخ عطية مسعودي في أصل الأشياء بتطبيق المحتوى مع الشكل، وهو ما يعرف بالأصل في الشيء وعنده الأصل لا يوازنه سوى أصل منه، غير مستنسخ فكل ما ندر من عمل «نادر» يعرفه من يحمله «فكرة» فاصل العمل النادر الذي يرتضيه البشري لنفسه، يجب ان يحمل أخلاق اسلامية .

فانما التقليد يرضى به البليد .

ج-حكمة طلب المعالي

يقول الشيخ سي اعطية:

وسامر الليالي - ترقى الى المعالي

لا ينال الانسان نتيجة ملموسة (تدركها الجوارح)، الكد مثلا مع السهر صفتان يحتاجهما طالب العلم، والشيخ سي اعطية قدس الله سره «أجاد الوصف «ورمى المعالي بالرقى فلا يرقى كسول، أو متسلل، بل زاهد أو عالم سهر الليالي، ينهل من رضاب العلوم متلهف لها كما وكيف، حتى إذا نال العلا وعرف أن سهر الليالي لمطالعة المخطوطات والمتب هو الذي أوصله الى رتبة الدعوة العلمية والمعرفية، ونوال النورانية التي تصبغ روحه وجسده حتى أنها تطفئ لهب جهنم فقد ورد في الحديث « ان جهنم تقول للمؤمن : جزيا مؤمن فقد أطفأ نورك لهي»(14)

د-حكمة القرض الحسن

لوبيق الإنسان وقتا طويلا منفصلا بالتفكير عن عالم الدنيا يتمعن في شيء واحد هو «حكمة القرض»، عندما يقترض الإنسان قرضا ليداوي ذاته أو يكف به نشر الأذى، فإن دوام العبادات بالشكر والطاعات هي أحسن وأبرك «القرض» التي يطلب العبد مقايضتها .

عند قوله :

خذ خير زاد للمعاد واقرض الله الكريم تجده مجزل قرضه

هـ- حكمة عدم الاعتزاز

عندما يتمعن القارئ قول الرسول «صلعم» «رفع القلم عن ثلاث عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يحتلم وعن المجنون حتى يعقل، يلاحظ أن «حكمة التكليف» بين الفئات الثلاث دون شك سيحسبها في أمر واحد (هو الوعي باليقين والإدراك) أي البلوغ العقلي وليس الفني كالذي كلخ الزمن شماريخ أيامه وسنواته، وغشيه الشيب، إن الشيخ سي اعطية قدس الله سره تجلى العلم من عوارفه المدركة من نمتها تجارب السنوات وها هو يفصح :

ولا يغرنك علم من فتى ابدأ ولو حوى كل ما قد خط بالقلم

حتى تراه غريقا في هدايته ودينه وتقاه راسخ القدم

إن أخذ العلم على غير مصنفة من فتى، لم تدكه تجارب الحياة أو امام متحدث لم يبلغ سن الرجح ولم تتقادم هدايته وتقواه

دون محالة سيكثر في بهرجة وتتماوج على حجة ندبات طالعة من زمنه ، فأخلاق الهدايا والتقوى تجعله يقربانه «علم شيء وغابت عنه أشياء» .

و -حكمة زخرف القول

محطة يكون «الشيخ سي اعطية قدس الله سره» قد توقف عندها متكلمنا ناصحا، كلامه «كله» نصح لذوي البصيرة، هاله أمر المتكلمين عن الآخرين، «تحسبون حفظ النصوص دون تبصر شرحه عالم أو خوصرة معرفة»، وماهي الا كمن يقتات من السلف يحسبه كروما لايهنا حين يقدم في حضرته عالم ناسك متواضع يدلي بعنقود الزيتون الأهل من به زوائل العلل ما تقدم وتأخر من أخبار الملل شارحا بالآيات وبنترات العقل... اذا تكلم من لا يفهمه وإرتحل ، ففيضان السبل لديه تختزل مسائل جملة من فرط العجل يكونا لناس هم على عجل لهذا كان «الشيخ سي اعطية قدس الله سره» يحثهم على إتباع (لبادة العقل) والتدبر والترث في إصدار الأحكام، خير من العمل بقول مزخرف ورد عن العرب والعجم لأن إتباع حلة مزركشة مألها كذلك المفهوم بالقشور مفضيا الى الندم « وحسبه قوله

ولا يهولنك اقوال مزخرفة فزخرف القول قد يفضي الى الندم

- الحياة الحكيمة :

جعل الشيخ سي اعطية قدس الله سره من الاسلوب الخطابي

منهجيا قيما في الحياة , مصورا إياه للآخرين مبسطا في الإستفادة من لبايه، ومن ممارسته، تجزوت على مقاريض العلوم المنتمية الى مدافن المعرفة «صغارها وكبارها»، يرتحل من بلد الى آخر يظهر لنا (صولة رجل إعلام) متمهن بالأسلوب الفياض المدجج بالحجج والبيان يقحم به القلب فينقيه من دنس التوحش ، فلننظر مما إستعمله في الأخبار المروى المعروف عند أهل اللسان ، بالأسلوب الخبري ماراى وما إستوحش في هذه اللطائف التي مرت على بضع من حياته أسكها للسانين منظرا ما عساه بفنون لها فضل الا بما جزم التوقف بالله مناشدا : ياربنا ألطف

ورد في هذا العصر الذي عايشه الشيخ ولازال يستمر كثير من العجائب المتعددة التي تترك كل من أراد وصفها، لأنه عصر كثرت أهواله وعندما يعظم شيخ نحري أهوال الدهر، فتلك هي كبائر الأمور التي تتطلب اليقظة والحذر من مجاهرة الشياطين للمتحصنين باليات الفتك والخروج عن الحدود ووصف مالا يوصف من فعال الناس بين أوساطهم داسين مجموع الفتن العاصية المقرضة، تتكاثر بين جوانبها بتكاثر بناتها ولا من مستيقظ ، ما قرأناه في السابق من أخبار الأقلين وأسباب إنقراضهم بات في الحول من صفات الأكلين لأيامهم تعترهم أوصاف دميمة، كأنهم يأجوج الى النصب يفدون.

مصائبهم كسيل العرم، هكذا أثقل صدر «الشيخ سي اعطية قدس الله سره» لم يجد الا أن يتلطف من رب العالمين سائلا إياه أن يدفع سيل المعاصي والهموم القواسي وهو « الرجاء » وياله من رجاء عندما نترجى المولى أن يذهب رياح الفتن من خسارة أوغبين :

يقرو يصف ماتفعله الأهوال، خرجوا عن حافة الطريق متفرقين لا ألفة بينهم ولا إتحاد أصبحت العهود في خبركان، وكأنها لم تضرب ولم تشهد الموائيق ووهنت خطب الأوابين فلا من مذكرو ولا مدخر، للخلق خليق حيث لامرد لقضاء الله سوى بالرجاء إليه

طلبنا من فضله ونعمه التي لا تعد ولا تحصى حتى للعاق لعله يستخيراً أو يعود الى ربه الرجعى لقد عانوا في الارض تقطعا وتمزقا
 فاهله عن الصراط حادو لا ألف بينهم ولا إتحد
 وانتشر الفساد والإلحاد والظلم عم الارض والفساد
 والناس مما اكتسبوا في جحيم تنابزوا بأسلوب الألقاب
 من فسق أو تضليل أو أسباب وأهملوا وصية الكتاب
 وسنة المطهر الأواب طيب كل من فؤاده سقيم
 - حكم الحياة:

من ورع «الشيخ سي اعطية قدس الله سره» تسنت له بصيرة النصح للأمة وقد رأى أن أول النصح يكون للشباب كما
 أوضحه الشيخين الجليلين «بلعبيدي والرابحي» في مراسلتهمما للامام الشيخ قدس الله سره وسنأخذ من منظومة الموزون نصائح
 وقادة لشباب المجتمع المعاصر هي كالسواعد مبنية وللخذل مرجعة .

1- طلب العلم :

لا يشرف تحصيل العلم الا من تعمق في أسباب الظواهر والقواهر وفتح باب التمحيص وصرف نفسه عن الجدل بإتباع «الحكمة
 والموعظة الحسنة» .

2- طلب النصر :

ان نصره المؤمن لآخيه تشكل منطلق إيمان متجدد لطالب العلم وإحتفاء بالسلف الذين كانوا يتبعون الشيوخ ويتواضعون
 بالنصرمتيسرا الا إذا خاصه تواضع وإذلال وطاعة .
 فانما النصر حليف الطاعة *** والذل والخذلان في الاضاعة.

3- اخذ العبرة :

عندما ينجح الإنسان عليه أن يتذكر النعم التي منحه إياها المولى تعالي، سيجد دون شك أن لديه خطوة نجاح أعقبتها خطوة
 إن لم نقل خطوات نجاح تكون بمثابة محفز يؤدي به الي بذل المزيد من الجهود ليحقق غرض البناء بذلك الشيء الذي حقق
 ملكيته، وينصح الشيخ سي اعطية قدس الله سره الشباب بالنظر للماضي لأخذ العبر من السلف بتحقيق مجهود يواكب النفس
 فأنظرا لي الأصحاب كيف كانوا*** في الضعف لامال ولا مكان

وحولهم يسوقوا أهل الكفر *** مسلولة بقوة ووفر

قد أهدقت من كل جانب بهم *** والخوف رابض علي أبوابهم

4/ توخي الذكر :

ان تلاوة الاذكار، صباحية ومسائية، ينظف سد الأمة من غفلة النسيان وينطلق الشيخ عطية مسعودي قدس الله سره بالدعوة
 الى عمارة المساجد إحتسابا لقوله تعالي « وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا » سورة الجن/18 والإكثار من الذكر وهو زاد
 للمؤمن الراغب في لقاء مولاه على صورة صوفية حسنة .

- تحصيل العلم الشريف:

ينصرف الشيخ عطية مسعودي قدس الله سره إلي مخازن العلم الكثيرة لأنه يري أن العلوم الشريفة هي أصل الشفاء من كل بلاء تحصل للإنسان في السروالعلن، لذلك هي مريجة صافية، لأنها تجمع بين ما ينظراليه العقل ويتناسب مع الروح وما جمعه في المناهج من فصول العلوم الكثيرة، صولاً وجولاً يروق ويراق لها لأنها تهدي الروح إلي جادة الصواب، ينال بها طالب العز والسيادة والسعادة، وهذا لا يكتمل نصابه إلا بملازمة العلماء والتفرغ، لكونها هي مفتاح الباب أي من وراء العلم من معارف مكشوفة ورائها ما يعينه العقل مؤقتاباً ومرهم بأخذ التفاصيل من العلوم وينصحهم بالإستغناء عن المكدرات من القشور الضافية حيث لا بأسف الإنسان لعزلها أبدا يدعمننا قوله :

فأصبر ولازمه بانكباب فبالملازمة فتح الباب

خذ اللباب وأترك السفاسف ولا تكن عن فوتها بأسف.

6- نصيحة حفظ القرآن وتدبر آياته:

أجمل ما في مآثور «الشيخ عطية مسعودي قدس الله سره» نصحه الدائم لحفظ الكتاب فهو العمدة والجواز ولحافظه النصرة إذا حمل عقله بأحاديث المصطفي:

وأحفظ كتاب الله فهو العمدة وجعل من الحديث خير عدة

7- نصيحة التحلي بالأخلاق :

يستعمل «الشيخ اعطية مسعودي قدس الله سره» مفهومي الكساء والغطاء للتعبير عن عموم الشيء، والأخلاق هي غطاء عام مثله مثل البرنوس يغطي جسم الإنسان من رأسه إلي أخمس قدميه، لذلك ينصح الشيخ بلبس الأخلاق، لأنها ذات حلة قشبية تميز شباب الأمة ولهذا إذا ماتم نزعها فإن خيرات كثيرة تذهب معها.

ولبس من الأخلاق خير حلة *** فإنها من أدبات الملة

من فاته الخلق الكريم فاته *** كل كمال وقل حياته .

8- نصيحة تدارك الصغر:

عمراًة محمد «قصير» في العدد متناهي في «القصر» ما بين (الستون والسبعون) وما عداها قليل يخطف الإنسان «جوهر حركته في شبابه ليتعلم ويغنم من فضائل الرحمان، وكان هذا التدبر دأب الشيوخ والأولياء والناصحين، بأن يسارع «الناس» إلي تقديم ما يدخلهم في طاعة الخالق و«الشيخ سي اعطية قدس الله سره» واحد من سلالات شيوخ الفقه من إبتغوا» قضم سنوات الشباب» في تنفيذ المنجيات ومنها التعلم في الصغر في هذه المرحلة يدرك معارج وأسرار العلوم حتي ولوطال عمره

من فاته التعليم في حال الصبي كانت حياته وإن طالت هبي

9- نصيحة التحلي بالرزانة :

ميزت رزانة الإحتكام إلي الرأي الناصح المتحكم للعقل، وفقاً للسنة النبوية، ماتركه السلف الصالح في «البوائق المثيرة» ظل الشيطان الرجيم يحركها للعبث بسير الناس، لهذا تصدوا لها بكريم الخلق وبالترزين المهيب للرأي السديد والتهلك لصورة

المتشبت بالرأي المعجب به خارج عن المشورة، ولهذا قال الشيخ منذرا :

من راح معجبا برأيه هلك *** ومن يشاور في أموره ملك

من كان ذا عجل وطيش *** غدا معاينا مرير العيش

من صفاء حكمة تأتي *** نال -بعز- كل ما تمنى

10- نصيحة الصدق :

سعي «صديقا» لأنه كان راعيا للوعد وحافظا للسر «كحذيفة ابن اليمان» محبوبا بالفطرة علي صفة الصدق، فأثر ورسم سيرته بالصدق صديقا ورفيقا للرسول (صلعم) مهما كان أبوبكر فهو درجة سامية تشع منها «أنوار الصديقية» من قبل معلم الأمة محمد «صلعم» لذا أوصي الشيخ سي عطية قدس الله سره معشر الشباب بالصدق والايمان .

كن صادقا في القول والأعمال - وصحح الإيمان رأس المال

فالإيمان عند الشيخ راحة متجلية في طمأنينة مثالية .

11- نصيحة الحركة :

لاينجز الإنسان في حياته سرا لا يلهمه « طعم الحياة» بل عليه أن ينطلق نشيطا يبتغي المعالي بما تزود به من مكارم الأخلاق

فيصبح كثير المعارف

كن نشيطا ذا همة شجاعا *** إلى العلي كإبن جلي إطلاعا

12- نصيحة النفع:

يرتقي المرء إلى درجات العلي، ينقله اللسان إذ ما سعي بعدما يعلم أن «إلى ربه الرجعى» في السعي إلى الخير رفعه «درجة» وتسامى به إلى الطهر، إن كان كذلك وإلى معلم «مترفع» عن ما يهبط من قدره غير ظالم ولا مؤذي ، أمين «وفي» بالوعد وحافظ بلسانه من كل سوء قد يظلم به الناس ، غير مضارب لسبب

الخاتمة:

هندس الشيخ سي اعطية مسعودي مجموعة من الركائز المتينة الفقهية والفتاوي على الطريقة المالكية لازال يعتد بها في كثير من زوايا ادارا وحتى في الجلفة، ولم يتسع المجال لعرضها لمحدودية المداخلة وان سمحت الظروف سوف نطلع عنها الراي العام في كتاب سبندش لاحقا حولها.

ان هذا الرجل الذي قال فيه الشيوخ امثال الشيخ العلامة «متولي الشعراوي» أنه أصل العلم وتنمى أن يكون موسوعة معارف الشيخ المبجل سي عطية أشهد الامام الراحل إلى ربه العلامة وموفد الأمة ومحسون المكانة في ربوع الجزائر الحبيبة الإمام العلامة محمد الغزالي بعلمه وطلب من طلاب الفتوى الذهاب إلى الشيخ سي عطية والإستماع إليه وقال قولته المشهورة «حاجتكم عنده» بمناجاة قال فيه سيدي محمد بل كبير قدس الله سره العالم العارف بربه أعجوزة الزمان وعينه دامعة «لقد مات ملك الزمان والعلم والتقى والورع وخاتمة الصوفية الشيخ سي عطية» وإستشهد به الشيخ العالم بمأثور الحفص في كتابه عن فتاوى الشيخ ولا ينتهي القول الا ونحن نلتفت الى مراسلاته مع مؤرخ الجزائر الشيخ مبارك بن محمد المليبي صاحب التواريخ

- أعز الله به الجزائر، فكان يلقبه بالأديب، كما أن العالم الجليل محمد الباوي بلعالم رحمه الله كان يدرس لطلابه في زاويته العامرة «باولف» المسائل الفقهية الواردة في مخطوط للشيخ سي عطية مسعودي.
- فكيف لا يخضع هذا الرجل الذي شهد له علماء الأرض وهو شيخ انهكته الضنون وقلل الحاقدون من علمه ان يكون ثمرة ملتقى دولي حول اسهامات الفقهية في بلورة مسألة الاعتناق السليم للعقيدة السمحاء.. هوامش المداخلة .
- 01- ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ديوان المطبوعات الجامعية، 1986. ص 20
- 02- الحاج مصطفى بن توهامي، سيرة الامير عبدالقادر وجهاد، دار الغرب الاسلامي، ص 152.
- 03- محمد رفاعة الطهطاوي، الابريز في اخبار باريز.
- 04- ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي .. مرجع سابق ص 123
- 05- عبدالله مسعودي حفيد الامام سي اعطية، تصحيح السيرة سلمها بالشكل الذي هي عليه بعد 20 يوم من المراجعة.
- 06- زهار كمال ، موقع الجلفة انفو يوم 17/04/2009 المعلومات تناقلتها الكثير من المواقع، ولا يمكن الجزم بملكيتها لاحد، صححها المفندى حفيد الشيخ سي اعطية الاستاذ عبدالله مسعودي بتاريخ شهر اكتوبر 2012.
- 07- الاية رقم سورة
- 08- شون ماك برايد، اصوات متعددة وعالم واحد، sned سنة 1986 ص 145
- 08- الاخلاق مخزونة عند الله تعالى فاذا اراد الله بعبد خيرا منحه منها خلقا، الحديث المذكور
- 09- الشاعر بن يعقوب هو الشيخ شواط شاعر شعبي ومجاهد من مدينة السوقر توفي سنة 1994. مسجل لدينا في شريط كاسيت وعلى كاميرا ماثورات شعرية صوفية رائعة
- 10- من قول الجلاء، التفاتة في الاحياء، وقد ذكر في شرح الخريدة لابن صفا.
- 11- العاقبة في الحكم هي ارتداء البصيرة في الكشف عن الصحيح الظاهر، فقد يحدث وان ترى سلثحا او زاهدا ملطخا بكثير من الاوساخ حتى تضنه سيموت او تلتهب اعضاؤه وهو يرى نفسه ببصيرته صحيحا معافي
- 12- انظر محمود عجاج الخطيب ، الاعلام الاسلامي ص 66
- 13- المردوم، الحنق بالتهيج لاصل المعرفة فينمحي الطلسم المظلم عن كتبها فيظهر لاصحاب الشهود كانه الحق في اسى معاتيه وهي درجة اولى له ولا مجال للبوغ ما اسى منه.
- 14- حمام محمد زهير، لاتاخذوا العلم من صحفي، دار الاوراسية سنة 2003، ص 63
- 15- نصيحة المستوى العالي، هي درجة عالية ترتبط بالاقرار بالربوبية حدا فاصلا.
- 16- حكيم اوشاطر، الاسطورة الشعبية ، رسالة ماجستير معهد الثقافات الشعبية غير منشورة سنة 2005.
- 17- سورة المجادلة الاية 11
- 18- غبد الوهاب الشعراي، لطائف المنن، دار البعث 1966 ص 222

- 19- تقنيات التعبير الشفوي، ماكيرز..لادولواز.باريس
20- جزيامؤمن فقد اطفا نورك لمي الحديث مذكور..